

## مفردات الولاء

والإلتناء إلى أهل البيت عليهم السلام

الشيخ محمد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات  
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله



اسم الكتاب: مفردات الولاء والإلتناء إلى أهل البيت عليهم السلام  
المؤلف: محمد مهدي الآصفي  
الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م  
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة  
المطبعة: مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

الشورى: ٢٣

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾

المائدة: ٥٥

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

المائدة: ٦٧

### مفردات الولاء والانتماء إلى أهل البيت عليه السلام

سوف نتحدث إن شاء الله عن طائفة من مفردات الولاء والانتماء ونحاول استخراج هذه المفردات من متون زيارات أهل البيت عليه السلام غالباً. فإن متون الزيارات المروية عنهم عليه السلام حافلة بأفكار ومفاهيم وتصورات كثيرة من الولاء والبراء. وبالتأمل في متون الزيارات نستطيع أن نستخرج نظرية متكاملة عن الولاء والبراء. ولسنا نحن الآن بصدد هذه الدراسة، ولا يسعنا المجال في هذه المقالة لدراسة الولاء والبراء وتكوين نظرية عنهما، ولكننا سوف نشير إلى طائفة من مفردات الولاء من خلال هذه المتون، وغيرها من أحاديث أهل البيت عليه السلام.

### وعى الولاء

وهذا هو العنصر الأول من عناصر الولاء وعلى قدر المعرفة تتحدد قيمة الولاء. وكلما يكون الإنسان أوعى لمفهوم الولاء يكون أقوى وأركز في الولاء. وفي الزيارة الجامعة: «أشهد الله وأشهدكم إنني مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر

بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، مؤمن بسرهم وعلايتكم، وشاهدكم وغائبكم». ونحن نشهد الله ونشهدهم عليه السلام على هذه المعرفة لثقتنا الكاملة وإيماننا بذلك. ولا يداخلنا في ذلك شك أو ريب. والولاء في هذه الفقرة يتألف من جانبين: جانب إيجابي: «مؤمن بكم وبما آمنتم به». وجانب سلبي: هو البراءة «كافر بعدوكم وبما كفرتم به». والكفر بمعنى الرفض. ومعنى هذه الفقرة: إنني أرفض عدوكم وأرفض كلما ترفضونه. وقيمة الولاء في هذا وذاك، في الإيجاب والسلب معاً، وفي القبول والرفض. والقبول وحده لا يكلف الإنسان كثيراً ما لم يقترن بالرفض. والقبول والرفض يجب أن يكونا عن بصيرة ووعي، وليس عن تقليد، كما يقلد الناس بعضهم بعضاً، «مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم». والقبول قبول شامل وهذه ثلاث نقاط وردت في هذه الفقرة: ١ - القبول الشامل العام «نؤمن بسرهم وعلايتكم».

٢ - الرفض الشامل لأعدائهم وكل ما يرفضونه «كافر بعدوكم وبما كفرتم به».

٣ - وهذا القبول والرفض يتم عن بصيرة ومعرفة: «مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم».

### التصديق

إن الولاء لا ينفك عن التصديق، ولا شيء أفسد للولاء من الشك والريب، ولم يجعل الله في مسالك الولاء غموضاً. فإن الله تعالى قد ربط الولاء بالتوحيد، وجعل الولاء محوراً لحركة الفرد والأمة. وشدّ الناس إلى الولاء من بعد التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. ولذلك لا بد أن يكون المسلك إلى الولاء واضحاً، حتى يكون الناس من أمر الولاء على بينة. لذلك لا ينفك الولاء عن التصديق والتصديق عن اليقين واليقين عن البينة. وفي الزيارة الجامعة في الخطاب لأهل البيت (عليه السلام): «سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضلّ من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدى من اعتصم بكم».

### الإنتماء العضوي

حتى نتحدث عن العناصر التي تؤلف (الولاء) لا بد أن نتحدث أولاً عن الترجمة الحرفية لهذه الكلمة كما هي في أدبياتنا المعاصرة، وهي مهمة غير يسيرة. فإن أدبياتنا المعاصرة في العلاقات الاجتماعية قاصرة عن ترجمة هذه الكلمة. فلا نعرف علاقة وشيجة بين الناس على الخط الأفقي من جانب وعلى الخط العمودي من جانب آخر في القيادة السياسية والمرجعية الثقافية والطاعة والتبعية... كـ (الولاء). فهي علاقة متميزة في هذه الأمة على خطين:

١ - على الخط العمودي من علاقة الأمة بالله ورسوله وأوليائه الأمور، وتتمثل في الطاعة والحبّ والنصرة والنصيحة والاتباع... بالاتجاه الصاعد. يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وبالاتجاه النازل السيادة والحاكمة والرعاية، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup> هذا على

(١) روى نزولها في علي (عليه السلام) الطبري في تفسيره ٦: ١٨٦، بإسنادين والرازي فخر الدين في التفسير الكبير ١٢: ٢٦، والسيوطي في الدر المنثور ٣: ١٠٤، والواحدي في أسباب النزول: ١٣٧، وغيرهم وقد أحصى صاحب الفضائل الخمسة طرفاً من روايات الباب ٢: ١٣.

الخط العمودي، على الخط الصاعد والنازل، ونقصد بالخط الصاعد علاقة الأمة بأولياء الأمور، وبالخط النازل علاقة أولياء الأمور بالأمة وهي تتقوم بالحاكمية من جانب والرعاية من جانب آخر.

أما على الخط الأفقي، فهي العلاقة التي تشد الناس بعضهم ببعض في الحياة الاجتماعية، ويختصرها القرآن بهذه الكلمة المعبرة الدقيقة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ويوضحها الإمام الحسن العسكري لأهل (آبه) و(قم) بهذه الكلمة الشفافة «المؤمن أخو المؤمن لأُمِّه وأبيه»<sup>(١)</sup>. وهي علاقة متميزة لا نجد لها نظير في الأمم والأديان والشرائع.

وعن رسول الله ﷺ «المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم»<sup>(٢)</sup>.  
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد، إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده»<sup>(٣)</sup>.  
ويوصي الإمام الصادق عليه السلام المؤمنين فيقول: «تواصلوا

(١) بحار الأنوار ٥٠: ٣١٧.

(٢) أمالي المفيد: ١١٠.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ٢٦٨.

وتباروا وتراحموا وكونوا إخوة بررة، كما أمركم الله عز وجل»<sup>(١)</sup>. وهذا هو الخط الأفقي للولاء.

ولا نعرف نحن شبكة للعلاقات في حياة الأمم أقوى وأمتن وأشد إحكاماً من هذه الشبكة.

الولاء، بهذا التوضيح يعبر عن الانتماء العضوي إلى أسرة واحدة متماسكة البناء، كالبنيان المرصوص كما يقول تعالى، والعلاقة بين أفراد هذه الأسرة، هي العلاقة القائمة بين أعضاء جسد واحد، وهي أقوى وأشد من العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة.

إذن الولاء نسيج متميز من العلاقة، داخل الأمة تعبر عن (الانتماء العضوي) للفرد إلى الأسرة أو للعضو إلى جسد واحد. وإذا كان قوام الولاء في الخط الأفقي التعاون والتواصل والتناصح والبر والأخوة والإحسان والمودة، والتناصر والتضامن والتكامل... فإن قوام الولاء في الخط العمودي، وهو ما نتحدث عنه هنا، الطاعة والانقياد والتسليم والمحبة والنصر والإقتداء والاعتصام والاتباع، والتمسك والحب لهم ولأوليائهم والمقاطعة والبراءة عن أعدائهم والنصيحة وما يشبه هذه المعاني.

(١) أصول الكافي ٢: ١٧٥.

ويبقى أن نقول في نهاية هذه النقطة أنّ الولاء والبراء ليست قضية تاريخية، مقطوعة الصلة عن حياتنا السياسية والحضارية المعاصرة.

ولا يمكن أن تكون قضية الولاء، بهذا الحجم الذي يرسمه الإمام الصادق عليه السلام: «وما نودي بشيء كما نودي بالولاية». مسألة عقائدية مبتورة الصلة عن واقعنا السياسي الذي نعيشه ونتحرك فيه. وإنما الولاء طاعة، وحبّ، وإتلاء، وبراءة، وسلم، وحرب، وموقف في واقعنا السياسي والاجتماعي الحاضر من خلال الولاية الشرعية النائية، وما لم يتحول الولاء والبراءة في عقائدنا إلى حركة وعمل وموقف سياسي في السلم والحرب في امتداد الولاية الشرعية النائية لا تكون لهذا الولاء والبراءة هذه القيمة الكبيرة التي نجدها ونقرأها في النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

والآن نتحدث إن شاء الله عن جملة من مفردات الولاء حديثاً موجزاً من خلال النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في نصوص الزيارات. فإنّ هذه النصوص حافلة بمفاهيم ومفردات الولاء.

## البراءة

الوجه الآخر للولاء: البراءة، والولاء والبراءة وجهان لقضية واحدة، وهي الإتلاء، وهي الوجه الصعب في قضية الإتلاء. والولاء من دون البراءة ولأناقص بليد. قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: «إني أحبّك وأحبّ خصومك» (وهذا هو الولاء الناقص البليد الذي تحدثنا عنه)، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور (ورؤية الأعور رؤية نصفية ناقصة) فأما أن تعمى (فتفقد الولاء تبعاً للبراءة) أو تبصر (فتجمع بين الولاء والبراءة)». في الزيارة الجامعة: «أشهد الله وأشهدكم إني مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم (رافض لهم) وبما كفرتم به (أي رافض لما رفضتم)، مستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم». وفي زيارة عاشوراء وهي أكثر الزيارات إعلاناً للرفض والبراءة عن أعداء الله: «لعن الله أمة قتلتكم، ولعن الله الممّهدين لهم بالتمكين من قتالكم، برئت إلى الله وإليكُم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم». والبراءة في هذا النص ليس من أعداء الله فقط، وإنما تشمل

البراءة من أشياع أعداء الله وأتباعهم والراضين عنهم.

وكما نتقرب إلى الله بموالاته أولياء الله، كذلك نتقرب إلى الله وإلى أولياء الله بمعاداة أعداء الله وأشياعهم. في زيارة عاشوراء: «إني أتقرب إلى الله وإلى رسوله... بموالاتكم. وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب وبالبراءة ممن أسسّ أساس ذلك وبنى عليه بنيانه».

#### العلاقة التوحيدية المتبادلة في دائرة الولاء

الولاء من مقولات التوحيد. وهذا ما سبق أن ذكرناه أكثر من مرة. وقيمة الولاء في الإسلام أنها تنحدر من التوحيد، وتأتي في امتداد التوحيد. ولا ولاء لغير الله تعالى إلا بإذن الله وأمره. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وإنما تجب ولاية رسول الله ﷺ وأولي الأمر من بعده بأمر الله تعالى. فمن يتولى الله، يتولى رسوله وأولياء الأمر ﷺ من بعده. ولا يمكن فصل ولاية رسول الله عن ولاية الله تعالى ولا ولاية أهل البيت ﷺ عن ولاية رسول الله ﷺ.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد استفاضت الروايات أن هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام وأن المقصود بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون هو عليّ عليه السلام.

وهذه الولاية لله تعالى ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، أولياء أمور المسلمين.

فكانت ولاية رسول الله وأهل بيته في امتداد ولاية الله، كما أن طاعة رسول الله ﷺ وأولياء الأمور من بعده عليه السلام تأتي في امتداد طاعة الله.

هذا في (الولاية) و(الطاعة) وكذلك الأمر في (الحب).

روي عن رسول الله ﷺ:

(١) المائدة: ٥٥، نزلت في عليّ عليه السلام. روى ذلك الرازي في تفسيره في سورة المائدة ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾ والشبلنجي في نور الأبصار: ١٧٠، والزمخشري في الكشاف في تفسير الآية المتقدمة من سورة المائدة. وأبو السعود في تفسيره لهذه الآية من سورة المائدة، وكذلك البيضاوي بعدة طرق. والسيوطي في الدر المنثور بعده طرق في تفسير الآية الكريمة من سورة المائدة. والواحد في أسباب النزول: ١٤٨، والمتقي في كنز العمال ٦: ٣١٩ و٧: ٣٠٥، والهيتمي في المجمع ٧: ١٧، والمحب الطبري ذخائر العقبى ٨: ١٠٢ ذكر ذلك الفيروزآبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢: ١٨ - ٢٤.

«أَحَبُّوا الله لما يغذوكم، وأَحَبُّوني بحبِّ الله، وأَحَبُّوا أهل بيتي بحبِّي»<sup>(١)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ أيضاً: «أَحَبُّوا الله لما يغذوكم - من نعمة - وأَحَبُّوني لحبِّ الله، وأَحَبُّوا أهل بيتي لحبِّي»<sup>(٢)</sup> إذن من تولى الله تعالى يتولاهم، ومن أطاع الله تعالى، يطيعهم، ومن أحبَّ الله تعالى يحبهم.

وهذا هو أحد طرفي المعادلة التوحيدية والطرف الآخر، من يتولاهم فقد تولى الله، ومن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن أحبهم فقد أحبَّ الله، وبذلك تتكامل هذه المعادلة التوحيدية في العلاقة والولاء والتوحيد من الطرفين.

فاستمع إلى النصوص التالية التي تشير إلى الطرف الثاني من المعادلة:

في الزيارة الجامعة: «من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله».

(١) صحيح الترمذي ١٣: ٢٦١ في كتاب الإيمان وتاريخ بغداد ٤: ١٦٠، روى ذلك عنهما الشيخ الأميني في كتابه القِيم سيرتنا وسُنَّتنا.

(٢) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل البيت ﷺ ورواه الحاكم في المستدرک ٣: ١٤٩ وصححه.

وأيضاً في نفس الزيارة: «من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله».

وأيضاً في هذه الزيارة: «من أحبكم فقد أحبَّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله».

ونحن نتقرب إلى الله تعالى بموالاتهم وبالبراءة من أعدائهم. في زيارة عاشوراء: «إني أتقرب إلى الله بموالاتك، وبالبراءة ممن قاتلك، ونصب لك الحرب».

وقد روي عن رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى علياً فقد عصاني»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس قال: نظر النبي ﷺ إلى عليّ عليه السلام فقال: «يا عليّ أنا سيّد في الدنيا والآخرة حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوّي وعدوّي عدوّ الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الحاكم في مستدرک الصحيحين وصححه ٣: ١٢١ و١٢٨ ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة ٢: ١٦٧، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي ٢: ١١٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٣: ١٢٧ وصححه على شرط الشيخين ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ٣: ٤٠ بخمسة طرق عن ابن عباس، قال فيه: «من أحبّك فقد أحبّني وحبيبي حبّ الله»، وذكره المحب في الرياض النضرة ٢: ١٦٦، راجع فضائل الخمسة ٢: ٢٤٤ وقد ذكر طرقاً عديدة لهذا الحديث.

ومن دقائق مفهوم (الولاء والبراءة) في الإسلام أن نفهم بشكل دقيق هذه العلاقة التوحيدية الراسخة بين ولاية الله وولاية أولياء الأمر عليهم السلام (أهل البيت)، وأن نفهم المعادلة التوحيدية بين الولايتين، وأن كل ولاية حقه في الإسلام لابد أن تأتي في امتداد ولاية الله وإلا فهي باطلة، وكل طاعة حقه فلا بد أن تأتي في امتداد طاعة الله، وإلا فهي باطلة، وكل حب فلا بد أن يأتي في امتداد حب الله وإلا فلا قيمة له في موازين الله تعالى. وأيضاً في هذا السياق، أهل البيت عليهم السلام هم الأدلاء إلى الله والدعاة إليه والحاكمون بأمره والمسلمون له تعالى والراشدون إلى سبيله تعالى.

وهذا هو أحد طرفي القضية. والطرف الآخر: إن من أراد الله وأراد سبيله ومرضاته وحكمه وحدوده فلا بد أن يسلك طريقهم ويأخذ بعملهم فاستمع إلى طرفي هذه المعادلة التوحيدية مرة أخرى.

في الزيارة الجامعة: «إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، والى سبيله ترشدون، ويقول له تحكمون».

هذا هو الطرف الأول، والطرف الثاني في نفس الزيارة: «من

أراد الله بدء بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم».

وأؤكد مرة أخرى أننا لا نستطيع أن نفهم الولاء إلا من خلال هذه الرؤية التوحيدية في امتداد ولاية الله تعالى، وأي فهم للولاء والطاعة والحب لأهل البيت عليهم السلام في غير هذا الامتداد، وفي غير هذا الموقع يأتي بخلاف كلماتهم وتعليماتهم عليهم السلام.

### السلام والنصيحة

هذان وجهان آخران للولاء. في طريقة التعامل مع أولياء الأمر عليهم السلام هو الوجه السلبي لهذه العلاقة، والنصيحة هو الوجه الإيجابي للعلاقة بأولياء الأمور... وإليك الشرح:

### السلام

معنى (السلام) لأولياء الأمور عليهم السلام: أن لا نتخل عنهم في بأساء أو ضراء، ولا نشاكس، ولا نتمرد، ولا نخرج عليهم، ولا نخالفهم في أمر، ولا نشاققهم في عمل (لا نتخذ شقا غير شقهم)، ولا نخذلهم، ولا نتربص بهم سوءاً، ولا نهدر لهم حرمة في حضورهم وغياهم، ولا نمكر بهم، ولا نساير أعدائهم عليهم السلام،

ولا نغشهم، ولا نتحايل عليهم، ولا نفرط بهم، ولا نضيعهم، ولا نسلمهم إلى أعدائهم، ولا نظلمهم، ولا نتكبر عليهم، وما يتصل بهذا المعنى.

وهذا هو الجانب السلبي من العلاقة بهم والتعامل معهم. والسلام مع أولياء الأمور يأتي في امتداد السلام في العلاقة بالله تعالى، ويدخل في مقولة التوحيد، لأن السلام لأولياء الأمور من السلام لله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى بأن نتعامل معه بالسلام وأن لا ندخل في حوزة أعدائه والمشائقيين له.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾<sup>(١)</sup>

وهذا السلم الذي يدعونا الله تعالى إليه هو السلام في العلاقة مع الله تعالى.

وفي مقابل السلام في العلاقة بالله محاربة الله ومشاقته ومحادة الله.

يقول تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) البقرة: ٢٧٩.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا...﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

أي اتخذوا شقاً غير شق الله وسبيلاً غير سبيل الله.

ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

والمحاددة. أن ينحاز الإنسان إلى حدٍّ وخط غير خط الله وحدّه.

هذا في السلام في دائرة العلاقة بالله.

والسلام في دائرة العلاقة بأولياء الأمور يأتي في امتداد هذا السلام، ضمن المقولات التوحيدية. وعلى العموم فإن كل مفردات وعناصر الولاء لأولياء الأمور عليهم السلام يدخل في مقولة التوحيد وليس لها وجود وحكم مستقل من دون إذن الله وأمره.

والسلام على أولياء الأمور (رسول الله وأهل بيته عليهم السلام) كما

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) الأنفال: ١٣.

(٣) التوبة: ٦٣.

ورد في نصوص الزيارات ليس من مقولة الخطاب، وإنما السلام من مقولة التعامل والعلاقة، والخطاب يعبر عن هذه العلاقة وذلك التعامل.

ومن دقيق معاني السلام لأولياء الأمور عليهم السلام، أن لا تؤذيهم بأفعالنا، وأعمالنا فإن لهم حضوراً في أعمالنا، كما تشهد له سورة القدر ونصوص الروايات.

وسيّات أعمال أوليائهم، وما يقتربون من المعاصي والذنوب تؤذيهم، كما تؤذي الملكين الموكلين بهم عليهم السلام وتسببهم أعمالهم الصالحة. ولا نريد أن نطيل كثيراً في مقولة السلام على أولياء الأمور.

وقد حفلت الزيارات جميعاً بالسلام عليهم وتكرار السلام عليهم...

وقد ورد في الزيارة الجامعة غير المعروفة في النص الذي رواه الصدوق رحمته الله عن الإمام الرضا عليه السلام في كتاب (من لا يحضره الفقيه) طائفة من السلام نذكرها شاهداً على هذه النقطة. «السلام على أولياء الله وأصفيائه، السلام على أمناء الله وأحبابه، السلام على أنصار الله وخلفائه، السلام على محال معرفة الله، السلام على مساكن ذكر الله، السلام على مظهري أمر الله

ونبيه، السلام على الدعاة إلى الله، السلام على المستقرين في مرضاة الله، السلام على المخلصين في طاعة الله، السلام على الأدلاء على الله، السلام على الذين من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلى عنهم فقد تخلى عن الله»<sup>(١)</sup>.

### النصيحة

النصيحة هي الوجه الآخر (الإيجابي) للعلاقة بأولياء الأمور عليهم السلام.

والنصيحة لأولياء الأمور كذلك من مقولة التوحيد، وتأتي في امتداد النصيحة لله ورسوله عليه السلام وهي إحدى القضايا السياسية الثلاثة التي أعلنها رسول الله عليه السلام في مسجد الخيف في منى على جمهور المسلمين عام حج الوداع.

روى الصدوق رحمته الله في الخصال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «خطب رسول الله عليه السلام الناس في حجة الوداع بمنى في مسجد الخيف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: نضر الله عبداً سمع مقالتي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٠٤ ح ١.

فوعاها، ثم بلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم:

١ - إخلاص العمل لله.

٢ - النصيحة لأئمة المسلمين.

٣ - واللزوم لجماعتهم.

فإن دعوتهم محيطه بهم.

والمسلمون أخوة متكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم<sup>(١)</sup>.

والنصيحة لأولياء الأمور وأئمة المسلمين عليهم السلام أن يكون المسلم لهم عوناً وعيناً، ويسندهم، ويدعمهم، ويسعى في الدفاع عنهم، ويعطيهم ناصح رأيهم ومشورته، ويذب عنهم، ويعرض عليهم مشاكل المسلمين وهمومهم ومعاناتهم وهذا الوجه الإيجابي من هذه العلاقة.

### الأسوة والقُدوة

من مفردات الولاء التأسي بأهل البيت عليهم السلام.

(١) بحار الأنوار ٢٧: ٦٨.

وقد جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام ومن بعده رسول الله ﷺ أسوة حسنة للناس يقتدون بهما، وقيسون أنفسهم بهما. يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>. ومن بعد رسول الله ﷺ أهل بيته وخلفاؤه أسوة حسنة لنا نتأسى بهم في حياتنا وعلاقتنا، وفي حياتنا العائلية، وعلاقتنا بأهلنا، وعلاقتنا بأنفسنا. وفي مقدمة هذه العلاقات علاقتنا بالله تعالى. والتأسي غير التعلم، وأهل البيت عليهم السلام لنا معلمون وأسوة. معلمون نأخذ بتوجيهاتهم وتعليماتهم، وأسوة نضع خطانا مواضع خطاهم، ونسلك مسلكهم ونذهب مذهبهم في الحياة، ونعيش كما عاشوا ونعاشر الناس وأهلينا، كما كانوا يعاشرون.

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام معصومون. ومعنى ذلك أنهم النموذج الكامل للإنسانية. جعلهم الله معياراً وميزاناً نزن بهم أنفسنا، فما تطابق من سلوكنا ومنطقنا وسكوتنا وحركتنا وسكوننا ومواقفنا مع سلوكهم ومنطقهم وحركتهم ومواقفهم فهو

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الأحزاب: ٢١.

الصحيح، وما اختلف عنهم فهو الخطأ، زاد أم نقص، لا فرق . وهذا هو معنى ما ورد في زيارة الجامعة: «المتخلف عنكم هالك، والمتقدم لكم زاهق، والملازم لكم لاحق».

وعلينا أن نقرأ سيرة وسنن أهل البيت عليهم السلام لنطابق بين سلوكنا وسلوكهم... وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في زيارة الجامعة في وصف أهل البيت عليهم السلام بأنهم (المثل الأعلى)، والمثل الأعلى هو المقياس الذي يصح أن يقيس الناس به أنفسهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وأهل بيت رسول الله ﷺ يرثون من إبراهيم عليه السلام ومن رسول الله ﷺ موارث القيم والأخلاق والعبودية والإخلاص والطاعة والتقوى.

ومن أراد أن يهتدي بهدى الأنبياء ويسلك سبيلهم، فإن في الاقتداء بهدى أهل البيت عليهم السلام إقتداء وتأس بهم.

ومما ورد في زيارة الجامعة من الدعاء: «جعلني الله ممن يقتص آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهداكم».

(١) نهج البلاغة من كتابه عليه السلام إلى عثمان بن حنيف.

## الحزن والفرح

الحزن والفرح حالتان من الولاء وإمارتان على الحب. فإذا أحب الإنسان أحداً - يحزن - بطبيعة الحال لحزنه، ويفرح لفرحه، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا منّا، يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرهم ما يسرنا»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية صحيحة عن ريان بن شبيب رضي الله عنه خال المعتصم العباسي عن الإمام الرضا عليه السلام: «يا بن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وعن مسمع قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا مسمع أنت من أهل العراق، تأتي قبر الحسين؟ قلت: لا أنا رجل مشهور من أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي إلى ولد سليمان، فيميلون عليّ. قال لي: أفتذكر ما صنع به؟ قلت: بلى. قال: فتجزع؟ قلت: أي والله، استعبر لذلك

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٠٥.

(٢) أمالي الصدوق: ٧٩، المجلس ٢٧.

حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فامتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال رحم الله دمعك. أما إنك من الذين يُعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويؤمنون إذا أمنا. أما إنك ستري عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فملك الموت أرق عليك وأشد رحمةً من الأم الشفيقة على ولدها»<sup>(١)</sup>.

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّ لنا عبادة، وكتمان سرّاً جهاد في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

إننا من هذه الأسرة، ننتمي إليها في العقيدة، والأصول، والحبّ، والبغض، والولاء، والبراءة، وإمارة هذا الحبّ والولاء الحزن والفرح لأحزانهم وأفراحهم.

ولكن لماذا نجاهر بأحزاننا وأفراحنا ونخرج الحزن والفرح من حالات نفسية إلى حالة شعاعية، نتظاهر بها في الوسط

(١) كامل الزيارات: ١٠١.

(٢) أمالي المفيد: ٢٠٠، بحار الأنوار: ٤٤: ٢٧٨.

الاجتماعي بين الأعداء والأصدقاء.

ولماذا ورد التأكيد في حديث أهل البيت عليه السلام على إعلان الحزن والبكاء سيّما في مصائب الحسين عليه السلام.

فقد روى بكر بن محمد الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لفضيل: «تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال: إن تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا فرحم الله من أحيا أمرنا»<sup>(١)</sup>.

السبب في هذا الإعلان والتظاهر والإشعار هو الإعلان عن هويتنا الإيمانية (إنتماؤنا الحضاري والسياسي والثقافي) وهذا الإعلان والتظاهر والإشعار بإنتمائنا إلى أهل البيت عليه السلام هو الذي حفظنا عبر هذه العصور، وحصنتنا من التيارات الثقافية والسياسية الضاغطة والمعادية إلى اليوم.

### المعينة والتبعية

لعل كلمة المعينة من أجمل التعابير في التعبير عن الحالة الإنتمائية إلى مدرسة أهل البيت عليه السلام.

المعينة في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والسلم والحرب، وقد وردت هذه الكلمة على إيقاع موسيقي مثير في الزيارة

(١) بحار الأنوار: ٤٤: ٢٨٢.

الجامعة، وكأنَّه قطعة من نشيد الولاء، «معكم معكم لا مع عدوكم». وقد ورد في بعض روايات هذه الزيارة «لا مع غيركم» وهو أوسع دلالة من كلمة «لا مع عدوكم».

### التبعية الثقافية

التبعية والإتباع مفهوم واسع في الولاء. يشمل الإتباع في الحرب والسلم، والإتباع في الحبِّ والبغض، والإتباع في الفكر والثقافة والمعرفة والفقه. ونحن أحرار في أن نأخذ العلم من أي موضع وجدنا فيه العلم، من الشرق والغرب، ولكن لا يجوز ولا يصح لنا أن نأخذ الثقافة والمعرفة إلا من مصدر الوحي، وأهل البيت عليه السلام يستقون المعرفة والثقافة من مصدر الوحي، فهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وخزان العلم، كما ورد في الزيارة الجامعة.

وبين العلم والثقافة فرق. فليس للعلم مردود مباشر على سلوك الإنسان، وعقيدته، وطريقة تفكيره، ومنهجه في العبادة، والعلاقة، والمعاشرة، والحركة، والعمل الاجتماعي، والنشاط السياسي والإعلامي، وما يتصل بذلك، وأما الثقافة فلها مردود

مباشر على سلوك الإنسان وتفكيره ونهجه معيشته ومعاشرته، وعلى عبادته، وتصوراته عن الله والكون والإنسان... الخ. والعلوم كثيرة، مثل الصيدلة، والتجارة، والاقتصاد، والمحاسبة، والرياضيات، والهندسة المعمارية، والإلكترونيات، والذرة، والجراحة، والطب، والفلسفة، والميكانيك، والفيزياء... وغير ذلك والناس أحرار أن يأخذوا العلم من أي مصدر يجدون عنده العلم حتَّى من الكافر، فإن العلم سلاح وقوة. وعلى المؤمنين أن يستلموا السلاح والقوة من أعدائهم. والثقافة كالأخلاق، والعرفان، والفلسفة، والعقيدة، والفقه، والدعاء والتربية والتهذيب وسنن المعاشرة، ومنهج المعاشة الاجتماعية والسلوكية والأدب وغير ذلك. وليست الثقافة كالعلم. ولا يصح لنا أن نأخذ الثقافة (المعرفة) إلا من مصادر الوحي. ذلك أن للثقافة مردود مباشر على سلوك الإنسان وفهمه وطريقة معيشته وسلوكه وعلاقته بالله وبالناس وبنفسه وبالأشياء. والثقافة تحصّن العلم وما لم يقترن العلم بالثقافة الصالحة والهادفة. فإن العلم يمكن أن يتحول إلى أداة للتخريب والإفساد. والثقافة الهادية الراشدة تحصن العلم. وتجعل منه أداة نافعة ومفيدة، لخدمة الإنسان.

والقرآن كتاب (ثقافة) في حياة الإنسان، أنزله الله تعالى لهداية فكر الإنسان وسلوكه، وليس كتاب (علم)، وإن وجد العلماء في القرآن علماً كثيراً في الفلك والنجوم والنبات والحيوان والطب والفلسفة وغير ذلك. ولكن يبقى القرآن كتاب ثقافة هادية. ومن الخطأ أن نتعامل مع القرآن، وكأنه كتاب (علم) أنزله الله تعالى ليعلم الناس الفيزياء والكيمياء والنبات، بل هو كتاب ثقافة، أنزله الله تعالى ليعلمنا كيف نعيش، وكيف نفهم الألوهية والكون والإنسان وكيف نتصور الله والكون والإنسان وكيف نتعامل مع الله ومع الناس ومع أنفسنا ومع الأشياء، وكيف نقيم الأشياء والأعراف والناس والأفكار.

يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾<sup>(١)</sup>  
ويقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>  
يقول تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) البقرة: ١٨٥.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) آل عمران: ١٣٨.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>  
وكذلك يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>  
ويقول تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

إذاً القرآن كتاب ثقافة، ونور في حياة الناس، وبصائر للناس، وهدى، وموعظة، وإذا صح لنا أن نأخذ العلم من أي مصدر ومن أي يد، حتى من أيدي أعدائنا، فلا يصح لنا أن نأخذ الثقافة إلا من مصدر معصوم، ينقلها إلينا من مصدر الوحي، فإن ضريبة الخطأ والانحراف في الثقافة باهظة، وليس العلم كذلك.

ورسول الله ﷺ هو المصدر المعصوم الذي يهبط إليه الوحي، ويبلغنا به، وبعد رسول الله ﷺ انقطع الوحي، ولكن رسول الله ﷺ أقام فينا خلفاء من أهل بيته عليه السلام، عدلاء للقرآن، قد أخذوا الثقافة والمعرفة من رسول الله ﷺ، وتوارثوا عنه المعرفة

(١) المائدة: ١٥ - ١٦.

(٢) الأعراف: ٢٥.

(٣) الأعراف: ٢٠٣.

والثقافة وحدود الله وأحكامه، والحلال والحرام والسنن والآداب والأخلاق والأصول والفروع، وجعلهم رسول الله ﷺ مرجعاً للمسلمين من بعده في ذلك كله، وعدلاً للقرآن، جيلاً من بعد جيل، إلى أن يرث الله تعالى الأرض وما عليها، وذلك في حديث صح عند الفريقين، وهو حديث الثقلين. أمر فيه رسول الله ﷺ المسلمين من بعده بالرجوع إلى القرآن وأهل بيته، حتى تقوم القيامة، وجعل التمسك بهما أماناً من الضلال والانحراف<sup>(١)</sup>.

ونصّ الحديث: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا، حتى يردا عليّ الحوض، ما إن تمسكتما بهما لن تضلوا بعدي».

وألفاظ الحديث متقاربة في المصادر. ويبدو لنا من اختلاف لفظ الحديث أن رسول الله ﷺ قد كررها في أكثر من موضع،

(١) رواه مسلم في الصحيح في (فضائل الصحابة) والترمذي في الصحيح ٣٠٨: ٢، وأحمد في المسند في مواضع عديدة، والدارمي في سننه ٤٣١: ٢، وبعده أسانيد، والحاكم في المستدرک بعدة أسانيد وصححها على شرط الشيخين ١٠٩: ٣، والبيهقي في سننه ٢: ١٤٨ و٣٠: ٧، ورواه ابن حجر في الصواعق: ٨٩ وصححه، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ١٢: ٢ وغيرهم ولسنا نحتاج إلى الإطالة في عرض إسناد هذا الحديث وتصحيحه، فإن الأمر فوق ذلك ويكفي في ذلك رواية (مسلم والترمذي في صحيحيهما).

وكان (غدير خم) من تلك المواضع كما ورد في صحيح مسلم برواية زيد بن أرقم.

وقال رسول الله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف»<sup>(٢)</sup>.

وغير ذلك من الأحاديث الصريحة والواضحة في أنّ رسول الله ﷺ كان يوصي المسلمين من بعده أن يرجعوا إلى أهل بيته، يأخذوا عنهم معالم دينهم ومعارفهم، وحدود الله وسنن نبيه ﷺ، والحلال والحرام.

(١) رواه الحاكم في مستدرک الصحيحين ٣٤٣: ٢ وصححه على شرط مسلم، ورواه المتقي في كنز العمال ٢١٦: ٦، والهيتمي في المجمع ١٨: ٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٣٠٦، والخطيب في تاريخ بغداد ١٩: ١٢، والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ من سورة البقرة: ٥٨، والطبري في ذخائر العقبى والمناوي في كشف الحقائق: ١٣٢، وابن حجر في الصواعق، وأخرج أسانيد السيد الفيروز آبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٦٧ - ٧١.

(٢) مستدرک الصحيحين ١٤٩: ٣ وصححه ورواه ابن حجر في الصواعق: ١١١ والهيتمي في المجمع ٩: ١٧٤، والمناوي في فيض القدير ٦: ٢٩٧ والمتقي في كنز العمال ٧: ٢١٧ وغير ذلك من المصادر. وأخرج جملة من طرقه الفيروز آبادي في فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٧١ - ٧٣.

وقد جمع طرفاً من هذه الأحاديث الفيروز آبادي في كتابه القيم فضائل الخمسة من الصحاح الستة فلا نتوقف عندها طويلاً. إذن فإن أهل البيت (عليهم السلام) هم «موضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي وخزائن العلم... ومصايح الدجى، وأعلام التقى، وأئمة الهدى، وورثة الأنبياء، وحجج الله على أهل الدنيا» كما ورد في الزيارة الجامعة.

وهم «محال معرفة الله، ومعادن حكمة الله، وحملة كتاب الله، وهم حجتة وصراطه ونوره وبرهانه» كما ورد في الزيارة الجامعة. فمن يفترق عنهم، فلا محالة يسلك مسالك الضلالة، سواء كان يتقدم عليهم، أو يتأخر عنهم، وذلك أن صراط الله تعالى واحد لا يتعدد ولا يختلف، فمن يسلك مسلكهم إلى الله يهتدي، ومن يختلف عنهم في السلوك فلن يبلغ ما يريد الله. وقد أعلن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) إعلاناً في مواضع كثيرة. ذكرنا واحداً منها في حديث الثقلين: «ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي».

والمسألة لا تدخل في حقل الاجتهاد فيهتدي ناس ويضل آخرون، ويشيب الله المهتدي بأجرين والمخطئ بأجر واحد، كما يقولون.

فلا يصح أن يأخذ أحد بالاجتهاد مع وجود النص. وقد نصّ

رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالرجوع إلى أهل بيته (عليهم السلام) فيما يختلفون من بعده. وفي زيارة الجامعة:

«فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم ومنكم ولكم وأنتم معدنه وفصل الخطاب عندكم، وآيات الله لديكم، ونوره وبرهانه عندكم».

فمن يريد وجه الله وطريقه وهداه وسبيله فلا محالة يأخذ عنهم، ويتبع سبيلهم، فإن أهل البيت لا يدعون إلا إلى الله، ولا يدلون إلا عليه، وورد في نفس الزيارة: «إلى الله تدعون، وعليه تدلون وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، وإلى سبيله ترشدون، ويقول له تحكمون. سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضل من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدى من اعتصم بكم».



## الطاعة والتسليم

جوهر الولاء (الطاعة) و(التسليم).

و(الطاعة) قيمة، إذا كانت في محلها، وضد القيمة، إذا كانت في غير موضعها، والعصيان والتمرد والرفض قيمة، إن كانت بوجه الطاغوت، وضد القيمة، إن كانت لله ورسوله وأهل بيت رسوله وأولياء أمور المسلمين.

وتجمع الآية ١٧ من سورة الزمر هاتين القيمتين معا. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾.

وفي سورة النحل: ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾<sup>(١)</sup>.

والطاعة والعبادة. والرفض والاجتناب أمر واحد، وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأولياء الأمر من بعد رسوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وأمرنا برفض الطاغوت وعصيانه ومكافحته. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) هم أولياء الأمور من بعد رسول

(١) النحل: ٣٦.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) النساء: ٦٠.

الله (عليه السلام)، تجب طاعتهم، والتسليم لهم فيما يطلبون.

فهم «ساسة العباد وأركان البلاد»، وهم «حجج الله على أهل الدنيا».

## توحيد الطاعة

ونحن نؤمن إيماناً، لا إيماناً فوقه. أنّ الطاعة لله تعالى وحده، وليس لغيره عزّ شأنه طاعة من دون إذنه وأمره، وأن طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته من طاعة الله ورسوله.

«من أطاعكم فقد أطاع الله، ومن عصاكم فقد عصى الله»<sup>(١)</sup>.

## التسليم

ومن مشاهد الطاعة (التسليم) وهو حالة الانقياد الكامل، وعدم الاعتراض والرفض. ومن أبرز موارد التسليم تسليم القلوب: «مُسْلِمٌ فِيهِ مَعَكُمْ، وَقَلْبِي لَكُمْ مُسْلِمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ»<sup>(٢)</sup>.

## سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم

والسلم والحرب وجهان للولاء والبراءة، والولاء ليس فقط

(١) الزيارة الجامعة.

(٢) الزيارة الجامعة.

سليماً لأولياء الأمور، وإنما له امتدادان شاقان وهما السلم لكم ولمن سالمكم، وليس لكم فقط، والحرب لمن حاربهم.

وهذا الفهم الدقيق للولاء والبراءة «سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم» ينظم الخارطة السياسية للمجتمع تنظيمًا جديدًا إلى منطقة (سلم) ومنطقة (حرب). والحرب بمعنى المفاصلة والبراءة، وليس القتال وبين البراءة والمفاصلة وبين القتال فرق.

إنّ علاقتنا الاجتماعية لا تنتظم طبقاً للمصالح المادية والسياسية، إنما بموجب الولاء والبراءة، فنقاطع أهلنا وجيراننا أحياناً ونواصل ناساً بعداء عنا زماناً ومكاناً.

وفي زيارة عاشوراء: «إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم».

وقد ورد مسنداً عن عمار رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في علي عليه السلام: «إنه مني وأنا منه... حربه حربي، وحربي حرب الله، وسلمه سلمتي، وسلمي سلم الله»<sup>(١)</sup>.

وأخرج الترمذي في الصحيح عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٣٣: ١٨ ح ٣٧٦ عن كفاية الأثر.

(٢) صحيح الترمذي، كتاب المناقب باب ١٦ فضل فاطمة بنت محمد رضي الله عنه ٢: ٣١٩.

ورواه ابن ماجه في السنن قال: «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم»<sup>(١)</sup>.

ورواه الحاكم في مستدرك الصحيحين<sup>(٢)</sup>.

ورواه ابن الأثير الجزري في أسد الغابة<sup>(٣)</sup>.

والمتقي في كنز العمال<sup>(٤)</sup>.

والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية التطهير من سورة الأحزاب والهيثمي في مجمع الزوائد<sup>(٥)</sup>.

وهذا هو معنى التوحيد في الحرب والسلم، فإن حرب أهل البيت وسلمهم هو حرب رسول الله ﷺ وسلمه، وحرب رسول الله ﷺ وسلمه هو محاربة الله تعالى وسلمه، وكذلك كل مفردات الولاء والبراءة من مقولة التوحيد.

(١) سنن ابن ماجه المقدمة باب ١١ ص ١٤٥.

(٢) مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري ١٣: ١٤٩، كتاب معرفة الصحابة «مبغض أهل البيت يدخل النار ولو صام وصلى».

(٣) أسد الغابة ٥: ٥٢٣.

(٤) كنز العمال ٦: ٢١٦.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٦٩، المصادر منقولة عن كتاب الفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي ١: ٣٩٦ - ٣٩٩.

## النصر والثأر

قضية الولاء قضية صعبة فهي السلم، والحرب، في السراء والضراء، ولو كانت هذه القضية في السلم والسراء لهان أمر الولاء. ومن متطلب - هذا الولاء الصعب النصر والثأر، ولا ولاء من دون النصر، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وكذلك (الولاء) الحق لا ينفك عن (الثأر)... إن الولاء الذي لا يكلف صاحبه قتالاً ولا حرباً ولا قطعاً لموصول ولا فعلاً ولا ضرراً ليس من الولاء الحق وإنما هي صورة ولاء.

في زيارة عاشوراء نتمنى ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الثأر للدماء الزاكية التي أريقَت ظلماً وعدواناً بكر بلاء.

«فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب تأرك مع إمام منصور من أهل بيت محمد ﷺ».

أيضاً في الزيارة: «وأسأله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله، وان يرزقني طلب تأركم مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحق منكم».

وفي الزيارة الجامعة نعلن عن استعدادنا الكامل للنصر: «ونصرتي لكم معدة».

(١) الأنفال: ٧٢.

## الحب والمودة

وهو من أسس الولاء لأهل البيت ﷺ.

وقد نزل فيه قرآن يتلى على الناس في كل حين.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١)</sup>.

والقربى هم قربي أهل بيت رسول الله ﷺ، بلا خلاف.

وهذه هي المودة الواجبة التي يشير إليها النصّ الوارد في

الزيارة الجامعة «ولكم المودة الواجبة والدرجات الرفيعة».

والطاعة والحبّ هما روح الولاء وجوهرها. وقد سئل الإمام

الصادق عليه السلام عن الحبّ، هل الحبّ من الدين؟ فقال الإمام عليه السلام:

«وهل الدين إلا الحب»<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله ﷺ «ولو أن رجلاً أحبّ حجراً لحشره الله

معه»<sup>(٣)</sup>.

والحبّ كما ذكرنا من قبل، من مقولة التوحيد.

فمن أحبّ الله يحبّ رسول الله ﷺ وأهل بيته، ومن أحبّ

(١) الشورى: ٢٣، راجع مصادر نزول الآية في أهل البيت ﷺ، في (دلائل الصدق) ٢: ١٢٠.

- ١٢٦ ط. القاهرة. والغدير ٢: ٣٠٦ - ٣١٠ و٣: ١٧١ ط. طهران.

(٢) مستدرک الوسائل ١٥: ١٢٩ ح ٢.

(٣) أمالي الصدوق: ١٧٤ المجلس ٣٧ ح ٩، روضة الواعظين: ٤٥٧.

رسول الله وأهل بيته يحب الله.

وعن الأول ورد عن رسول الله ﷺ: «أحبوني بحب الله، واحبوا أهل بيتي بحبي»<sup>(١)</sup>.

وعن الثاني ورد في الزيارة الجامعة: «من أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك من أحب الله يحب المؤمنين لحبهم لله، ومن أحب المؤمنين يحب الله لا محالة.

وحب الله يجب أن يكون أبلغ وأقوى وأشد درجات الحب في نفس الإنسان.

وينبغي أن يكون هو الحب الحاكم في حياة الإنسان حتى لا يحب الإنسان إلا الله وفي الله.

عن النقطة الأولى يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح الترمذي ١٣: ٢٦١.

(٢) وردت هذه الفقرة مرتين في الزيارة الجامعة.

(٣) التوبة: ٢٤.

(٤) البقرة: ١٦٥.

وقد ورد في الدعاء: «اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقاءك»<sup>(١)</sup>.

وعن النقطة الثانية وردت نصوص كثيرة في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأهل بيته، منها ما رواه الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «ألا ومن أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فهو من أصفياء الله المؤمنين عند الله. ألا وإن المؤمنين إذا تحابوا في الله عز وجلّ، وتصافوا في الله كانا كالجسد إذا اشتكى أحدهما من جسده موضعاً، وجد الآخر ألم ذلك الموضع»<sup>(٢)</sup>.

إنّ الحب على نوعين: حب ساذج لا عمق له، وحب واع في امتداد حب الله تعالى، والحب الأول لا قيمة له في التاريخ، ولا في حياة الإنسان ومصيره، وإنما هو نوع من الهوى يعتري الإنسان. أما الحب الواعي الذي يأتي في امتداد حب الله، وهو ما نتحدث عنه في مودة أهل البيت عليهم السلام وحبهم، فهو أمر آخر غير الحب الساذج، الضحل، الذي يعرفه الناس في حياتهم، وهو لا

(١) كنز العمال ٨: ٣٧.

(٢) بحار الأنوار ٧٤: ٢٧٩ - ٢٨٠.

يكون إلا في امتداد حب الله.

ولهذا الحب خصال وسمات بارزة معروفة:

**الخصلة الأولى** لهذا الحب: إنه لا يفارق البراءة قط. ومع كل حبّ عداً وبغضاء. ومع كل رضا غضب ومع كل ولاء براءة، والحب الذي لا يقترب بالعداء والبغضاء حبّ ساذج ضحل.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إني أحبّك وأحبّ خصومك. فقال عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور (تري برؤية نصفية ناقصة) فأما أن تعمى أو تُبصر. وقد ورد في الزيارة «موال لكم ولأوليائكم ومبغض لأعدائكم ومعاد لهم».

**الخصلة الثانية** لهذا الحب: إنّ له امتداد في الناس كما كان هو يقع في امتداد حبّ الله، فإن الحب في الله يمتد، فيهم وفي أوليائهم «موال لكم ولأوليائكم». ولا يمكن أن يحب الإنسان أحداً في الله، ثم لا يحب من يحبه في الله.

**والخصلة الثالثة** لهذا الحب: إنه ينقلب إلى موقف عملي في ساحة الصراع في الحرب والسلم «سلم لمن سالكم وحرب لمن حاربكم».

**والخصلة الرابعة:** إنّ الحب لله والبغض في الله يرسمان الخارطة السياسية الكاملة للعلاقات الاجتماعية الإيجابية والسلبية والسلمية والعدائية والمواصلة والمفاصلة في المجتمع الواسع بشكل دقيق.

### التحقيق والإبطال

وفي دائرة الولاء لأهل البيت عليهم السلام يجب أن نذب عن حريم ثقافتهم ومعارفهم فحقق ما حققوا ونبطل ما أبطلوا. فإن المساحة الثقافية والمعرفية في تاريخ أهل البيت عليهم السلام من أكثر المساحات التي تعرضت للهجوم والحرب من قبل أعدائهم.. وتصدى فقهاء أهل البيت عليهم السلام وعلماء مدرستهم للذب عن معارفهم وثقافتهم وفقههم ومعرفتهم للإسلام. والتحقيق والإبطال في هذه الدائرة، يقع في سياق الجهاد والصراع والسلم والحرب، في زيارة الجامعة: «سلم لمن سالكم، وحرب لمن حاربكم، محقق لما حققتهم، مبطل ما أبطلتم».

### الميراث والإنتظار

يمتد الولاء عبر (التاريخ) و(المستقبل)، ولا يخلو شيء من

الزمان عن الولاء من بدايات التاريخ من آدم ونوح عليهما السلام إلى نهايات التاريخ، حيث يظهر المهدي من آل محمد عليهم السلام، ليملا الأرض قسطاً وعدلاً، ويرث الأرض من أيدي الظالمين، تحقيقاً لوعده تعالى في التوراة والزبور.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> والذكر، هو التوراة. وهذا وعد الله تعالى في التوراة والزبور والقرآن، وأهل البيت عليهم السلام يرثون الأنبياء والصالحين في التاريخ، يرثون منهم الصلاة والذكر والزكاة والحج والدعوة إلى الله.

وزيارة (وارث) للحسين عليه السلام تعبّر عن هذه الوراثة المعرفية والحضارية والثقافية والجهادية والرسالية للحسين عليه السلام من الأنبياء عليهم السلام... وتحمل هذه الزيارة مفاهيم حضارية ودلالات معرفية عميقة.

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله...».

(١) الأنبياء: ١٠٥.

وهذه الوراثة ضاربة في أعماق التاريخ منذ آدم ونوح عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام...

والحسين عليه السلام في موقفه بكر بلاء يوم عاشوراء، كان يجسد كل هذا الميراث المعرفي والثقافي والحضاري والجهادي الضخم.

إذن للولاية تاريخ عميق، ضارب في أعماق التاريخ وأهل البيت عليهم السلام يرثون المسيرة الطويلة الصالحة للأنبياء عليهم السلام، ونحن نرث عنهم هذا التاريخ.

نرث منهم الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والدعوة إلى الله، والذكر والإخلاص، وسائر قيم التوحيد فلا نكون مثلاً لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(١)</sup> وإنما نحفظ الصلاة، ونقيمها، وندعوا إليها، كما حفظها سلفنا من قبل ونكون، إن شاء الله من الذين يأخذون بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾<sup>(٢)</sup>، فنحفظ في أنفسنا ومجتمعنا وأهلينا هذا الميراث الإلهي العظيم الذي ورثناه من سلفنا الصالح، كابرا

(١) طه: ٣٢.

(٢) مريم: ٩٥.

بعد كابر وجيلا بعد جيل.

هذا عن امتداد (الولاء) في أعماق التاريخ، وهو (الميراث). وللولاية امتداد مستقبلي في أعماق المستقبل حيث ننتظر ظهور الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام، وننتظر بظهوره الفرج والنصر الكبير، والانقلاب الكوني الشامل الذي أخبرنا به الله تعالى في كتابه الكريم، وفي التوراة والزبور من قبل ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾. والانتظار، ليس معنىً سلبياً، كما يرصد الناس خسوف القمر وكسوف الشمس، وإنما الانتظار معنى إيجابي، كما نفهم من نصوص الانتظار، وهو التحضير والإعداد (السياسي والثقافي والعملية) على وجه الأرض لإعداد الأرض والمجتمع لظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف للانقلاب الكوني الكبير الذي يقوده الإمام عليه السلام.

ومعنى الانتظار، بناءً على هذا الفهم الإيجابي لهذه الكلمة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والدعوة إلى الله وجهاد الظالمين، وإعلان كلمة الله ونشر الثقافة الربانية في الأرض، وإقامة الصلاة، وما إلى ذلك من ألوان التحضير والإعداد للانقلاب الكوني الكبير القادم.

وإلى هذا البعد المستقبلي للولاء تشير الزيارة الجامعة «منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم»، «حَتَّى يَحْيِيَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ بِكُمْ، وَيُرَدِّكُمْ فِي أَيَّامِهِ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ، وَيُمْكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ». والكلمة الأخيرة (ويمكنكم في أرضه) تشير إلى الآيات الأوائل من سورة القصص ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويتبلور هذا الانتظار في عمل وحركة وجهد، وصبر، ومقاومة، وهدم، وبناء، وسعي في الأرض لإقامة دين الله، وإعداد وتحضير لقيام الدولة الإلهية على وجه الأرض، بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكافحة الباطل والمنكر وجهاد أئمة الكفر.

وإليك صورة مشجية من الندبة التي يندب بها المؤمنون إمامهم عليه السلام في فراقه، وفي انتظار فرجه: «أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية؟

أين المُعد لقطع دابر الظلمة؟

أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج؟ أين المرتجى لإزالة الجور

(١) القصص: ٥٠-٦٠.

والعدوان؟

أين المُدَخَّر لتجديد الفرائض والسنن؟

أين المُتَخَذ<sup>(١)</sup> لإعادة الملة والشرعية؟

أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده؟

أين محيي معالم الدين وأهله؟

أين قاصم شوكة المعتدين؟

أين هادم أبنية الشرك والنفاق؟

أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان؟

أين قاطع حبال الكذب والافتراء؟

أين مبيد العتاة والمردة، ومستأصل أهل الفساد والضلال والإلحاد؟

أين معز الأولياء ومذل الأعداء؟

أين جامع الكلمة على التقوى؟

أين باب الله الذي منه يؤتى؟

أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى؟

أين مؤلف شمل الصلاح والرضا؟

أين الطالب بذحول الأنبياء وأولاد الأنبياء؟

أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء؟

(١) في أكثر المصادر اين المتخير.

أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى؟

أين المضطر الذي يجاب إذا دعى؟

أين ابن النبي المصطفى وابن علي المرتضى وابن خديجة الغراء

وابن فاطمة الكبرى؟<sup>(١)</sup>.

والإنتظار مزيج من هذه الندبة المشجية والعمل الكادح في

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالمين لإعداد

الأرض لظهور الإمام المهدي وفرجه وقيامه.

وتتحول هذه الندبة المشجية في قلوب المؤمنين إلى عمل

وحركة، وسعى، وثورة، وقيام، وصبر، وصمود، ومقاومة، وجَلَد،

وجهاد، ودعوة، وهدم، وبناء، لتحضير الأرض لظهور الأمام ﷺ

وقيام دولته الكونية التي وعدنا الله بها في كتابه الكريم ﴿وَلَقَدْ

كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

وليس من شك أن قيام الإمام المهدي ﷺ يكون بعد الجيل

الذي يوطئ الأرض لظهوره وقيامه ﷺ، كما وردت وتواترت

بذلك النصوص الإسلامية. وهذا الجيل الموطئ هو الذي يُعد

الأرض لظهور الإمام ﷺ وقيامه. ومعنى الإنتظار إذن هو هذا

التعجيل والتسريع في هذه التوطئة والإعداد بالأمر بالمعروف

(١) فقرات من دعاء الندبة المعروف.

والجهاد والحركة والعمل.

إنّ (الولاء) كما قلنا (ميراث) و(إنتظار)، ميراث يشدنا إلى مسيرة الأنبياء والصالحين في التاريخ، وإنتظار يشدنا إلى الانفتاح على الأمل المشرق الذي فتحه الله تعالى علينا للمستقبل. ولكن هذا الأمل يجب أن يقترن دائماً بالكدح والجهاد والعمل، حتّى يتحقق بإذن الله، وليس بالترقب وإنتظار العلامات فقط.

### الزيارة

من مظاهر الولاء وآثاره (الزيارة).

والزيارة حالة واضحة وملحوظة وشائعة في علاقتنا بأهل البيت (عليه السلام)، نلتزم بها، وندعوا إليها، وللزيارة، في دائرة الولاء، ثقافة، وآداب، ونصوص نتلوها ونقرؤها، غنية بالأفكار والمفاهيم الثقافية عن الولاء، وعمقها ومساحتها الشاسعة في الحياة.

والغاية من الزيارة الإنشداد العضوي والثقافي بالمسيرة الصالحة الهادية في التاريخ.

ونحن جزء من هذه المسيرة الحافلة بقيم التوحيد،

والإخلاص، والتقوى، والصلاة، والجهاد، والزكاة، والأمر بالمعروف، والذكر، والشكر، والصبر، والقوة...

نحن جزء لا يتجزأ من هذه المسيرة المباركة التي تمتد من أهل البيت (عليه السلام) إلى حركة الأنبياء (عليهم السلام) في التاريخ، من آدم إلى نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم (عليهم السلام)... جزء من هذه المسيرة، وجزء من هذا الصراع التاريخي بين الإسلام والجاهلية وبين التوحيد والشرك، في كل مراحل هذه المسيرة، وجزء من هذه الشجرة الطيبة الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.

نحن أغصان هذه الشجرة، ولا بد أن نحافظ على هذا الإنتماء العضوي إلى هذه الشجرة الطيبة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup>. ولا بد أن نعمّق الإحساس بهذا الإنتماء العضوي إلى هذه الشجرة في وجداننا وضمائرنا وقلوبنا وعقولنا.

ومهما تعمق وتأكد لدينا الإحساس بالإنتماء إلى هذه الشجرة الطيبة وهذه الأسرة المباركة في التاريخ، نزداد قوةً وصبراً وصلابةً في مواجهة التحديات، ونزداد ثباتاً على طريق ذات الشوكة وعلى المزالق التي تواجهنا في الطريق.

(١) إبراهيم: ٢٤.

و(الزيارة) من أهم عوامل هذا الإنشداد.

إنّ الزيارة توفّر جواً عاطفياً قوياً يتأكد فيه هذا الانتماء الحضاري الثقافي والحركي إلى هذه الأسرة المباركة، والمسيرة الصالحة في التاريخ.

ونصوص الزيارات المروية عن أهل البيت (عليه السلام) في زيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين والزهاء والحسن والحسين وسائر أهل البيت والأنبياء (عليهم السلام) وأولياء الله وصالح المؤمنين، حافلة بهذا الميراث الحضاري والثقافي الضخم، وتخزن معاني ومفاهيم الإنشداد إلى هذه المسيرة، والانتماء إلى هذه الأسرة المباركة، وإعلان البراءة عن أعدائهم ومناوئهم والذين نصبوا لهم الحرب.

وقد كتبت دراسة من قبل عن (الزيارة) في الفصل الأخير من كتاب (الدعاء عند أهل البيت (عليهم السلام)) ونكتفي هنا بما ذكرناه هناك فلا نعيد.



### مكاسب الانتماء إلى مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

الآن نتحدث عن آخر نقطة في هذا البحث وهي معارج الولاء والبراء ومكاسبها.

فإنّ الولاء والبراء معارجان للإنسان إلى الله تعالى، ومن خلال الولاء والبراء، يعرج الإنسان إلى الله عز وجل وينال مرضاته.

ولا ينال الإنسان قرب الله ومرضاته إلا من خلال الولاء والبراء.

وفيما يلي نتحدث عن طائفة من الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في معارج الولاء والبراء.

### معاشة محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة

عن عبد الله بن الوليد، قال: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في زمن مروان، فقال: ممّن أنتم فقلنا من أهل الكوفة، فقال: «ما من بلد أكثر محباً لنا من أهل الكوفة، لا سيّما هذه العصابة. إن الله هداكم لأمر جهله الناس، فأحببتمونا، وأبغضنا الناس وتابعتمونا، وخالفنا الناس، وصدّقتمونا، وكذبنا الناس، فأحياكم الله محياناً، وأماتكم مماتنا. فاشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم،

وبين أن يرى ما تقرّ به عينه، أو يعتبط، إلا أن تبلغ نفسه هكذا، وأهوى بيده إلى حلقه.

وقد قال عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ فنحن ذرية رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وفي زيارة عاشوراء المعروفة: «وأحينا محيا محمد وآل محمد وامتنا ممات محمد وآل محمد».

### ينشر الله عليهم كرامته

عن رسول الله ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ لشيعتي وشيعة أهل بيتي يوم القيامة هلمّ يا عبادي إليّ لأنشر عليكم كرامتي، فقد أوديتم في الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

### يتمسكون بحجرتنا ونحن نتمسك بحجرة نبيّنا

عن الإمام الصادق عليه السلام كان أبي يقول: «إن شيعتنا آخذون بحجرتنا، ونحن آخذون بحجرة نبيّنا، ونبيّنا آخذ بحجرة الله»<sup>(٣)</sup>. قال المجلسي: أخذت بحجرة الرحمن: أي اعتصمت به.

(١) بحار الأنوار ٦٥: ٢٠ - ٢١ ح ٣٤.

(٢) بحار الأنوار ٦٥: ١٩ ح ٢، مع اختلاف عن عيون أخبار الرضا ٢: ٦٠.

(٣) بحار الأنوار ٦٥: ٣٠ ح ٦٠ عن المحاسن: ١٨٣.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة أخذ رسول الله بحجرة ربّه (اعتصم به)، وأخذ عليّ عليه السلام بحجرة رسول الله ﷺ، وأخذنا بحجرة عليّ عليه السلام، وأخذ شيعتنا بحجرتنا. فأين ترون يوردنا رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

عن عليّ بن الحسين عليه السلام: «إن أحقّ الناس بالورع والاجتهاد فيما يحبّ الله ويرضى، الأوصياء وأتباعهم، أما ترضون أنه لو كانت فرعة من السماء فرع كل قوم إلى مأمنهم وفزعتم إلينا، وفزعنا إلى نبيّنا؟ إنّ نبيّنا آخذ بحجرة ربّه (معتصم به). ونحن آخذون بحجرة نبيّنا، وشيعتنا آخذون بحجرتنا»<sup>(٢)</sup>.

### ما يرزقهم الله في الآخرة

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنت ذات يوم عند النبي ﷺ إذا قبل بوجهه على عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ألا أبشرك يا أبا الحسن؟ فقال: بلى يا رسول الله، فقال هذا جبرئيل يخبر عن الله أنه قد أعطى شيعتك ومحبيك تسع خصال:

١ - الرفق عند الموت.

(١) بحار الأنوار ٦٨: ٣٠ ح ٦١ من المحاسن: ١٨٣.

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ٣١ ح ٦٢ عن المحاسن: ١٨٢.

٢ - والأنس عن الوحشة.

٣ - النور عند الظلمة.

٤ - الأمن عند الفزع.

٥ - والقسط<sup>(١)</sup> عند الميزان.

٦ - والجواز على الصراط.

٧ - دخول الجنة قبل سائر الناس.

٨ و٩ - ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم<sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب قال: «يخرج أهل ولايتنا يوم القيامة من قبورهم مشرقة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روائعهم، قد فرجت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون»<sup>(٣)</sup>.

عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فقال: «قال جبرئيل عليه السلام: ذاك علي وشيعته. هم السابقون إلى الجنة، المقربون من الله بكرامته لهم»<sup>(٤)</sup>.

(١) القسط بمعنى النصب الوافر.

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ١١.

(٣) بحار الأنوار ٦٨: ١٥ ح ١٧.

(٤) بحار الأنوار ٦٨: ٢٠ ح ٣٣.

### معنا، ومنا

عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وهذا، يعني علياً، كهاتين وضم بين إصبعيه، وشيعتنا معنا، ومن أعان مظلوماً كذلك»<sup>(١)</sup>.

عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا ابن يزيد أنت والله منا أهل البيت. قلت جعلت فداك من آل محمد؟ قال: أي والله من أنفسهم؟... أما تقرأ قول الله عز وجل ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾. أو ما تقرأ قول الله عز اسمه ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾»<sup>(٢)</sup>.

عن الصادق عليه السلام قال: «شيعتنا جزء منا يسوءهم ما يسوءنا، ويُسرهم ما يسرنا، فإذا أرادنا أحد منهم فليقصدهم، فإنهم الذي يوصل منه إلينا»<sup>(٣)</sup>.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «من تولى آل محمد وقدمهم على جميع الناس بما قدمهم (الله) من قرابة رسول الله ﷺ فهو من آل محمد لمنزلته من آل محمد، بتولية لهم واتباعه إياهم،

(١) بحار الأنوار ٦٨: ١٩، عن عيون أخبار الرضا ٢: ٥٨، وأمال الطوسي ١: ٧٠.

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ٢٠، عن أمالي الطوسي.

(٣) بحار الأنوار ٦٨: ٢٤ عن أمالي الطوسي ١: ٣٠٥.

وكذلك حكم الله في كتابه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ وقول إبراهيم ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾<sup>(١)</sup>.

### الفوز والفلاح

عن جابر بن يزيد عن محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ: «إن علياً وشيعته هم الفائزون»<sup>(٢)</sup>.

### المشاركة مع الشهداء بالولاء والبراء

في الحديث الصحيح عن ريان بن شبيب رحمته الله خال المعتصم، قال دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام في أول يوم من محرم، فقال لي (بعد حديث طويل):

«يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فأبك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه ذبح كما يذبح الكباش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر) رجلاً ما لهم شبيهون في الأرض.

يا ابن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي ﷺ فألعن قتلة الحسين عليه السلام.

(١) بحار الأنوار ٦٨: ٣٥ ح ٧٢ عن تفسير العياشي ٢: ٣٢.

(٢) الإرشاد، والسيوطي في الدر المنثور وغيره والروايات متضافرة بهذا المعنى.

يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثلما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام، فقل متى ما ذكرته: (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً).

يا ابن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى في الجنان فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وهذا حديث صحيح. وهو أمر يستوقف الإنسان ولولا صحة سند الحديث لحملناه على ضرب من المبالغة والمسامحة التي نجدها عادة في بعض الأحاديث المرسلة والضعيفة.

فأقرأ عليك مرة أخرى هذه الفقرة العجيبة من الحديث «يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام، فقل متى ما ذكرته: (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً)».

إن هذه الأمنية عندما تكون صادقة وحقيقية، وهذا الرضا بفعل الحسين عليه السلام وأصحابه والسخط على جريمة آل أمية وأصحابهم تكون صادقة، تُشرك المتمني الراضي الساخط من الموالين المحبين للحسين عليه السلام في ثواب أصحاب الحسين

(١) أمالي الصدوق: ح ٧٩ المجلس ٢٧.

المستشهدين بين يديه، فتقلب النية إلى العمل، عند الله تعالى، وتلحق النية بالعمل في القيمة عند الله عندما تصح النية ويصدق العزم... وهذا من أغرب أنواع الانقلاب في العلاقة بين النية والعمل ولانقلاب النية إلى العمل، في الأجر والثواب، قانون ونظام، كما أن لانقلاب المادة إلى الطاقة قانون ونظام في الفيزياء وهو قانون عجيب في الإيجاب، والسلب، وفي الثواب، والعقاب حقاً.

وكما أن نية العمل الصالح تشرك صاحبها في ثواب أعمال الصالحين كذلك نية الظلم والرضا بالظلم تشرك صاحبه في عقاب الظلم.

يقول محمد بن الأرقط دخلت على الإمام الصادق عليه السلام في المدينة:

«قال لي: أتزل الكوفة؟ فقلت: نعم.

فقال: ترون قلة الحسين عليه السلام بين أظهركم؟

قلت: جعلت فداك، ما رأيت أحداً منهم.

قال: فأنت إذاً لا ترى القاتل إلا من قتل، أو من ولي القتل؟!

ألم تسمع قول الله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فأي رسول قتل الذين كان محمد عليه السلام بين أظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى عليه السلام رسول. إنما رضوا قتل أولئك فسموا قاتلين»<sup>(١)</sup>.

والآية التي يشير إليها الإمام الصادق عليه السلام من سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا لَأَن نُّؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إلى اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شك أن هؤلاء اليهود لم يقتلوا نبياً قط، وبينهم وبين القتل ستة قرون، ولكن القرآن مع ذلك ينسب القتل إليهم حقيقة، وليس مجازاً نحو قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وليس من توجيه وتفسير لهذه النسبة إلا إذا فهمنا هذه القاعدة الكلية من معادلة النية والرضا والسخط بالعمل الذي يرضى به صاحبه.

(١) وسائل الشيعة ١٦: ١٤٢ ح ١٤.

(٢) آل عمران: ١٨٣.

(٣) يوسف: ٨٢.

إنّ النية والأمنية الصادقة، والرضا والسخط الصادقين تحمل قيمة العمل بالكامل، وتصح نسبة العمل إلى من ينوي ذلك العمل، ويتمناه صادقاً، ويرضى به صادقاً كما ورد ذلك في كتاب الله.

يروى الشريف الرضي في (نهج البلاغة):  
«لما أظفر الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل، قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

فقال عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم.  
قال: فقد شهدنا. ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيعرف بهم الزمان، ويقوى بهم الإيمان». إنّ هذا القانون والسنة الإلهية يشركونا في أعمال الصالحين، ويلحقنا بهم في الثواب فنحن مشاركون للأنبياء والأولياء والصالحين في أعمالهم، إذا نويناها، ورضينا بها، وأحبيناها، وتمنييناها صادقين. كما أنّ العكس صحيح أيضاً.

فمن كان يرضى بأعمال الظالمين وجورهم وظلمهم ومفاسد أعمالهم، ويتمناها، وينوئها، ويدافع عنها، يحشره الله معهم، وإن لم يحضرها، ويذيقهم عقابهم.

فما ورد من أنّ الإمام المهدي من آل محمد عليه السلام إذا ظهر يقتل قتلة الحسين عليه السلام، ويحصبهم، ويلاحقهم، ويبيدهم معناه إن الإمام يلاحق من كان على هوى قتلة الحسين عليه السلام، يقتلهم بقتلهم الحسين عليه السلام، ليظهر الأرض من رجسهم وظلمهم.

وفي زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بـ (وارث) تشخيص وتوظيف دقيقان لهذا القانون، من لعن قتلة الحسين، ومن ظلمه، ومن رضي بقتله.

وإليك هذا النصّ من الزيارة: «لعن الله أمة قتلتكم، ولعن الله أمة ظلمتكم، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به».

فإن الطائفة الأولى: هي التي وليت جريمة القتل. والطائفة الثانية: هي التي أسندتهم وأيدتهم وجهزتهم. وأما الطائفة الثالثة: فهي التي رضيت بقتل الحسين عليه السلام، وهي أوسع هذه الطوائف، وتمتد وتنسبط على رقعة واسعة جداً من التاريخ والجغرافية.

ويعجبني هنا أن أختتم هذا الحديث برواية عطية العوفي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عندما زار قبر الحسين عليه السلام بعد مصرعه وإليك هذا النصّ:

في (بشارة المصطفى) عن عطية العوفي قال:

خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، زائرين قبر الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام بعد مصرعه، فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم إترز بإزار، وارتنى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فثرها على بدنه، ثم لم يخطُ خطوة إلا ذكر الله، حتّى إذا دنا من القبر، قال: ألمسنيه فألمسته فخرّ على القبر مَغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين، ثلاثاً، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثابجك، وفُرق بين بدنك ورأسك فأشهد أنك ابن النيّين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، وما لك لا تكون كذلك، وقد غدتك كفّ سيّد المرسلين ورُبّيت في حجر المتقين، ورُضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً وطبت ميّتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك. فعليك سلام الله ورضوانه. وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر فقال: السلام عليكم أيّها الأرواح

التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتُم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتُم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتّى أتاكم اليقين. والذي بعث محمداً بالحقّ نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر: كيف!! ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فصل بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت أزواجهم؟

فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ قوماً حشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم»، والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه. خذوني نحو أبيات كوفان.

فلما صرنا في بعض الطريق، فقال: يا عطية هل أوصيك؟ وما أظنّ إنني بعد هذه السفر ملائكتك! أحبّ محبّ آل محمد عليهم السلام ما أحبّهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كان صواماً قواماً، أرفق بمحبّ محمد وآل محمد فإنّه إن نزل له قدم بذنوبه ثبتت له أخرى بمحبّتهم. فإنّ محبّهم يعود إلى الجنة ومبغضهم إلى النار<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار ٩٨: ١٩٥ ح ٣٢ عن بشارة المصطفى.

## استدراك والحق

### من هم أهل البيت ؟

في نهاية هذا البحث نحب أن نثير تساؤلاً يثيره البحث المتقدم في المدخل وهو: من هم آل البيت الذين يتوارثون الإمامة السياسية والمرجعية الفقهية والثقافية عن رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة؟

أقول: إن المسألة أوضح من أن يتوقف عندها الإنسان. فإن رسول الله ﷺ لا يمكن أن يحيل مرجعية هذه الأمة في الحلال والحرام والأصول والفروع على إمتداد الزمان، إلى يوم القيامة إلى جماعة غير محدّدة. فلا بد أن تكون هذه الجماعة محدّدة وواضحة ومعروفة، ولسنا نعرف مجموعة من أهل بيت رسول الله ﷺ بارزة وواضحة على امتداد التاريخ، تعلن إمامتها، ومرجعيتها إلى المسلمين على امتداد التاريخ، غير الإثني عشر إماماً المعروفين من أهل البيت ﷺ في تاريخ الإسلام، الذين تقول الشيعة الإثنا عشرية بإمامتهم، والذين وصل إلينا علمهم وجهادهم وفهمهم وتراثهم في مئات المجلدات من الكتب توارثها علماء هذه المدرسة كابراً عن كابر. والذين كانوا يرون

أنهم ورثة رسول الله ﷺ في الإمامة السياسية والفقهية وأنهم المعصومون من بعد رسول الله ﷺ.

### أحاديث الإثنا عشر إماماً بعد رسول الله ﷺ

وقد صح عن رسول الله ﷺ بطرق لا يرقى إليها الشك إن الإمامة الراشدة في اثني عشر أميراً بعد رسول الله ﷺ وكلهم من قريش.

وقد صحت هذه الروايات عند محمد بن إسماعيل البخاري في الصحيح<sup>(١)</sup> ومسلم ابن الحجاج النيسابوري في الصحيح<sup>(٢)</sup> والترمذي في الصحيح<sup>(٣)</sup> والحاكم في مستدرك الصحيحين<sup>(٤)</sup> وأحمد بن حنبل في المسند في عدة مواضع<sup>(٥)</sup> وغيرهم من حفاظ الحديث النبوي ولسنا نعرف نحن في تاريخ الإسلام اثني عشر أميراً وإماماً عدلاً يتعاقبون، «ولا ينقضي هذا الأمر قبل أن يكتمل عددهم»، «ولا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر منهم»، «وعدهم عدد نعباء بني إسرائيل»، وغير ذلك مما ورد

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمامة ١٢: ٢٠١ - ٢٠٤ ط. ١٩٧٢ بشرح النووي.

(٣) صحيح الترمذي ٧: ٣٥ كتاب الفتن.

(٤) مستدرك الصحيحين ٤: ٥٠١.

(٥) مسند أحمد في عدة مواضع ٥: ٨٦ و ٩٢ و ١٠٦.

في الروايات الصحيحة...

أقول: لا نعرف اثني عشر إماماً وأميراً قط في تاريخ الإسلام بهذه الصفة الواضحة غير أئمة أهل البيت عليهم السلام الإثني عشر المعروفين الذين يتمسك شيعه أهل البيت عليهم السلام بإمامتهم... ولو نفينا ذلك لم يصح حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يجد مصداقاً، وهو ما لا يقول به من يصلي إلى القبلة.

#### آية التطهير

والشاهد الآخر على ما ذكرناه آية التطهير المباركة من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يختلف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله أدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقط دون غيرهم تحت الكساء، عندما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين، مستدرک الصحیحین ٣: ١٤٧، سنن البیهقي ٢: ١٤٩ وغيرها من المصادر وهي كثيرة.

وقد صحت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله، إن رسول الله حصر أهل البيت فيهم، فقال عند نزول الآية «اللهم هؤلاء أهل بيتي، مشيراً لعلي وفاطمة والحسن والحسين، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال: أنت على مكانك أنت على خير»<sup>(١)</sup>.

والروايات الحاصرة لأهل البيت عليهم السلام في الخمسة الطاهرة، دون غيرهم كثيرة، وفيها روايات صحيحة، لا مجال فيها للمناقشة يرويه (الترمذي) و(الطحاوي) و(ابن أثير الجزري) والحاكم في المستدرک والسيوطي في (الدر المنثور) بطرق كثيرة وهي روايات صحيحة وواضحة في تشخيص أهل البيت عليهم السلام الذين جمعهم رسول الله تحت الكساء...

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(٢)</sup>. وروى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ

(١) صحيح الترمذي ٢: ٢٠٩.

(٢) المصدر السابق.

أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴿عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كَانَ النَّبِيُّ يَجِيءُ إِلَى بَابِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ يَقُولُ: «الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»<sup>(١)</sup> وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي بِحَضُورِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَشْخَصَ الْمَقْصُودُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَعَرَفْنَا أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا... فَسَوْفَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ بِهِمْ مَنْ هُمُ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ تَتَّصِلُ وَتَمْتَدُّ فِيهِمُ الْإِمَامَةُ وَالْمَرْجِعِيَّةُ الْفَقْهِيَّةُ إِلَى نَهَايَةِ التَّارِيخِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرِّجْسَ بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ، فَلَا يَقُولُونَ إِلَّا حَقًّا وَصَدَقًا بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِمَامَةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ الْفَقْهِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ تَتَّصِلُ فِيهِمْ عَلَى نَحْوِ حُلُقَاتٍ مُتَّصِلَةٍ وَمُتَرَابِطَةٍ بِتَوْصِيَةِ مِنَ الْإِمَامِ السَّابِقِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْإِمَامِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) تفسير الدر المنثور: سورة طه، ذيل آية ١٣٢.

وبذلك يتحدد الأئمة الإثنا عشرية الذين وردت الإشارة إليهم في حديث رسول الله ﷺ.



## الفهرس

مفردات الولاء والانتماء الى أهل البيت <small>عليه السلام</small> .....	٥
وَعِي الولاء.....	٥
التصديق.....	٧
الانتماء العضوي.....	٨
البراءة.....	١٢
العلاقة التوحيدية المتبادلة في دائرة الولاء.....	١٣
السلام والنصيحة.....	١٨
السلام.....	١٨
النصيحة.....	٢٢
الأسوة والقُدوة.....	٢٣
الحزن والفرح.....	٢٦
المعية والتبعية.....	٢٨
التبعية الثقافية.....	٢٩
الطاعة والتسليم.....	٣٧
توحيد الطاعة.....	٣٨
التسليم.....	٣٨
سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم.....	٣٨

النصر والثأر.....	٤١
الحب والمودة.....	٤٢
التحقيق والإبطال.....	٤٦
الميراث والانتظار.....	٤٦
الزيارة.....	٥٣
مكاسب الانتماء الى مدرسة أهل البيت <small>عليه السلام</small> .....	٥٦
معايشة محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة.....	٥٦
ينشر الله عليهم كرامته.....	٥٧
يتمسكون بحجرتنا ونحن نتمسك بحجرة نبينا.....	٥٧
ما يرزقهم الله في الآخرة.....	٥٨
معنا، ومنا.....	٦٠
الفوز والفلاح.....	٦١
المشاركة مع الشهداء بالولاء والبراءة.....	٦١
استدراك وإلحاق.....	٦٩
من هم أهل البيت <small>عليه السلام</small> ؟.....	٦٩
أحاديث الاثنا عشر إماماً بعد رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small> .....	٧٠
آية التطهير.....	٧١
الفهرس.....	٧٥

## الأعداد المطبوعة من سلسلة الثقافة الإسلامية

- ١ - كيف نقرأ القرآن.
- ٢ - الاجتهاد والحياة، حوار على الورق.
- ٣ - حوارات وإثارات حول المرجعية والفقاهة .
- ٤ - سلطات الفقيه وصلاحياته في عصر الغيبة.
- ٥ - الانتظار الموجه.
- ٦ - الغربة والاعتراب.
- ٧ - مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا واجتماعيا.
- ٨ - خطاب الاستنصار الحسيني من المدينة إلى كربلاء.
- ٩ - شروط العمل وساحاته.
- ١٠ - دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام.
- ١١ - العلاقة مع إسرائيل.
- ١٢ - وقفة مع الدكتور الشيخ البراك استاذ جامعة ام القرى بمكة المكرمة.
- ١٣ - أدب التعامل مع الخطاب الإلهي.
- ١٤ - الفئات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام.

١٥ - مناقشة الفهم الآخر لعاشوراء.

١٦ - حضور القلب في الصلاة.

١٧- الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الأول).

١٨- الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الثاني)

١٩- اللقاء بين الحوزة والجامعة.

٢٠ - لبيك داعي الله.

٢١- الفصل بين الدين والدولة

٢٢- المباني الفقهية للمقاومة المسلحة: مقاومة الإحتلال

٢٣- المباني الفقهية للمقاومة المسلحة: مقاومة الحكومات الظالمة

٢٤- الجسور الثلاثة

٢٥ - في علاقة النصر بالله تعالى في ساحة المعركة

٢٦- المذهب التاريخي في القرآن

٢٧- مع العبد الصالح ذي النون في رحلة العودة إلى الله

٢٨- على طريق ذات الشوكة

٢٩- حدود الله وتخطي حدود الله

٣٠- الفقه والمعاصرة

٣١- دروس من سورة الشرح

٣٢- أربعة بصائر في سورة العصر

٣٣- شيعة أهل البيت عليه السلام

٣٤- سنة التعميم

٣٥- الفتنة والفرقان

٣٦- الاتجاهات والملاح العامة للنظام الإسلامي

٣٧- العصم

٣٨- الشهادة والشهود

٣٩- الدعاء عند أهل البيت عليه السلام

٤٠- دور الليل والنهار في حياة الإنسان

**من منشورات مجمع أهل البيت عليه السلام . العراق**

**مطبعة مجمع أهل البيت عليه السلام . العراق / النجف الأشرف**

